

القوى الصاعدة في النظام الدولي وطوفان الأقصى تباينات وتقاطعات المواقف والتوجهات



أ. د. عبد القادر دندن

شباط / فبراير 2025

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

فهرس المحتويات

1.....	فهرس المحتويات
2	مقدمة
3	الإشكالية البحثية
3	الفرضيات
4	الإطار المنهجي
4	أولاً: القوى الصاعدة ومساعي تغيير النظام الدولي... السياقات والدلالات
10.....	ثانياً: عوامل ومتغيرات تبلور مواقف القوى الصاعدة من طوفان الأقصى وتطورات الحرب في غزة
28.....	ثالثاً: طوفان الأقصى ومستقبل ومآلات لعبة النفوذ والتموقع في النظام الدولي
30.....	الخاتمة



القوى الصاعدة في النظام الدولي وطوفان الأقصى... تباينات وتقاطعات المواقف والتوجهات

أ. د. عبد القادر دندن¹

مقدمة:



تتفاعل القضية الفلسطينية ضمن بيئة إقليمية وعالمية سيمتها التغير والتعقد والتشابك، ومنذ أن برز الكيان الغاصب للوجود سنة 1948 والقضية الفلسطينية رهينة لمعطيات وتحولات كل مرحلة مرّت بها المنطقة أو النظام الدولي. وجاءت عملية

طوفان الأقصى وحرب غزة التي تلتها، في ظرف إقليمي متوتر ومضطرب وشديد الحساسية، كما تزامنت مع فترة انتقالية وتحولية حرجة على مستوى النظام الدولي، حيث إن الأحادية القطبية التي طمحت الولايات المتحدة الأمريكية لترسيخها أصبحت محل مساءلة، بل أكثر من ذلك أضحت موضع تشكيك ورفض، وتطورت تلك المساءلات إلى مظاهر عملية لتحدي تلك الهيمنة، ولا سيّما عبر بروز عدد من القوى الدولية التي يحمل بعض منها ماضٍ تاريخي وحضاري وعريق، وقرس في الريادة والتطور عبر التاريخ، وعرفت بشكل عام بتوصيفها كقوى صاعدة في العلاقات الدولية، فيما يعدّ البعض منها قوى صاعدة وعائدة في الوقت نفسه، لأنّها لم تكن غريبة عن عالم القوة والنفوذ الدولي والإقليمي تاريخياً مثل الصين وروسيا والهند، وتشكل دول مجموعة البريكس BRICS الرئيسية الخمس عماد وقوام تلك القوى. ويتصاعد التناقض والتنافس بين هذه القوى الصاعدة، ونظيرتها الغربية التقليدية ممثلة في أمريكا وأوروبا، إلى الحدّ الذي شاع فيه تصور يؤسس لانقسام عالمي ما بين غرب آخذ في التراجع والضعف، وشرق يتجه نحو الصعود والتقوي، وهو مسار تحوّلي جديد على الساحة الدولية تنتقل فيه القوة تدريجياً من

¹ أستاذ العلاقات الدولية وباحث في الشؤون الآسيوية، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر.

الغرب نحو الشرق، مع ما لذلك من انعكاساته المؤكدة على مختلف بقاع العالم بما في ذلك منطقة الشرق التي تعجّ بالآزمات والصراعات وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

الإشكالية البحثية:

تُلقى المرحلة الحرجة في مسار إعادة بناء وتشكيل وصياغة سُلّم القوى الدولي بظلالها على واقع العلاقات الدولية الراهنة، ولا يمكن استثناء تأثيراتها وانعكاساتها عن أي من القضايا الاستراتيجية الحيوية والمصرية المطروحة إقليمياً وعالمياً، وعلى رأسها طبعاً القضية الفلسطينية التي شهدت زخماً كبيراً ودفعة غير مسبوقة، من خلال عملية طوفان الأقصى وما خلفته من آثار عميقة في استقرار المنطقة والعالم، ووجدت القوى الصاعدة والرافضة للهيمنة الغربية في الحدث وتداعياته فرصة لتأكيد وجودها كحركة احتجاجية مؤثرة، وهنا برزت مواقف وتوجهات متباينة من تلك القوى وخصوصاً الصين وروسيا وجنوب إفريقيا والبرازيل تجاه تلك التطورات. وهو ما يدفع لطرح السؤال الإشكالي التالي: إلى أي مدى كانت تداعيات عملية طوفان الأقصى وحرب غزة مجالاً لبروز وتقوية دور القوى الصاعدة، كفواعل قادرة على استغلال الظرفية المستجدة لرسم توجهات جديدة ومختلفة في المجتمع الدولي تجاه القضية الفلسطينية والممارسات الإسرائيلية؟

الفرضيات:

ينطلق التحليل من اختبار فرضيتين أساسيتين:

1. بروز قوى صاعدة ذات توجهات مناهضة لنظيرتها الغربية التقليدية ولا سيما الأمريكية منها، يعطي توازناً أكبر في المواقف الدولية تجاه القضية الفلسطينية بعد علمية طوفان الأقصى.
2. تمثل عملية طوفان الأقصى فرصة للقوى الصاعدة لتقديم نفسها كخط بديل لذلك الغربي الذي ساد طويلاً، ومجالاً لترويج تلك القوى الصاعدة لنفسها كمناصر للقضايا العادلة لدى شعوب المنطقة.



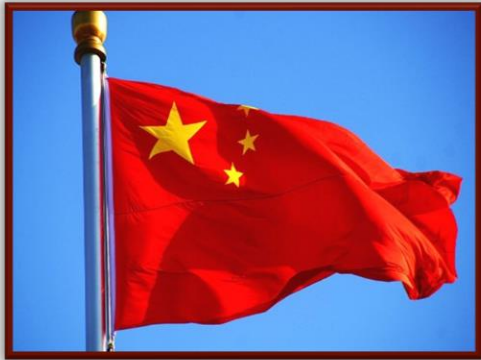
الإطار المنهجي:

نوظف في هذه الورقة "منهج تحليل النظم" لمميزاته الذي يسمح بالانتقال من الجزء إلى الكل والعكس، والتدرج في المستويات الثلاثة للتحليل؛ مستوى الوحدات الوطنية، والمستوى الإقليمي، ومستوى النظام الدولي، فعملية انتقال القوة وصعود فواعل جديدة مؤثرة دولياً، محكومة بشكل أو بآخر بعوامل تتعلق بمختلف مستويات التفاعل. كما أن القضية الفلسطينية وعملية طوفان الأقصى وحرب غزة تتأثر بعوامل داخلية وإقليمية وعالمية.

كما تحضر نظرية انتقال القوة Power Transition Theory، لأبرامو فيمو كينيث أوجانسكي Abramo Fimo Kenneth Organsky كإطار تفسيري قادر على الإحاطة بعوامل صعود وهبوط القوى الكبرى، والعوامل المحركة لهذه العملية الحيوية في النظام الدولي، ورصد التحولات المترتبة عنها على مختلف الأصعدة.

أولاً: القوى الصاعدة ومساعي تغيير النظام الدولي... السياقات والدلالات:

في مرحلة مفصلية من تاريخ ومسار العلاقات الدولية وصيرورة النظام الدولي، برزت خطابات متعددة لكنها متقاربة في مضامينها وأهدافها وسياقها العام ودلالاتها من حيث تأكيدها على حدوث تحوّل مرتقب في سُلّم القوة دولياً. مثل "خطاب الصعود" الذي يتصل ببروز قوى دولية متحدية للوضع القائم، و"خطاب التراجع والأفول" الذي يترجمه كتاب غريون يندرون بتفكك وشيك لعرى الغرب الثقافية والمادية التي منحته قوته لأزيد من قرنين ماضيين، و"خطاب الانقسام الكبير الجديد" الذي يشير بانتقال وشيك للقوة من الغرب نحو الشرق مرة أخرى. فمن جهة ساد خطاب يمكن وصفه فلسفياً بالتشاؤمي في الفكر الغربي، لأنه يرى في



صعود دول مثل الصين وقوى أخرى انتقاصاً من قوة الغرب وديمومة حضارته، خصوصاً إذا تضافر ذلك مع عوامل ضعف وتهالك داخلية تعاني منها المجتمعات الغربية، وهو ما برز في مؤلفات عديدة وعميقة لكتاب غريون يندرون تنتقد القوة الأمريكية والقيم الغربية، وتحذّر من تراجع وشيك وتدهور حاد في الغرب

قيماً وفكرياً قبل أن يكون ذلك مادياً وعسكرياً أو اقتصادياً. ومن جهة أخرى بدأ مع العشرية الأولى لهذا القرن التسليم من جهة بصعود الصين، كأولى ملامح بروز قوى صاعدة مستعدة لمزاومة الولايات المتحدة وحلفائها عالمياً، لتتبعها قوى أخرى مثل روسيا والهند، وقوى في نطاقات إقليمية حديثة عهد بالقوة مثل البرازيل في أمريكا اللاتينية وجنوب إفريقيا في القارة الإفريقية.²

بدأت قصة القوى الصاعدة من ناحية مفاهيمية ودلالية في سنة 1981، عندما استخدم "أنطوان فان اجتمائيل Antoine Van Agtmael"، الخبير الاقتصادي الهولندي في مؤسسة التمويل الدولية International Finance Corporation وهي إحدى فروع البنك الدولي World Bank، لأول مرة صفة "الصاعدة" للدلالة على بعض من بلدان الجنوب التي تتوافر فيها شروط تشكّل أسواق لها من



مقومات النمو المتصاعد ما يجعلها تحظى بثقة المستثمرين.³ ثم أخذ هذا المفهوم دلالات سياسية واستراتيجية لا سيّما مع بروز مجموعة "البريك BRIC" بداية والتي تطورت فيما بعد إلى مجموعة البريكس.

من ناحية نظرية ومعرفية، برزت عدة أطر تفسيرية لعملية تحول وانتقال القوة على المستوى الدولي، وتحديد أهم ضوابطها والعوامل المتحركة بها، ولكن أبرزها على الإطلاق وأكثرها تداولاً هي نظرية انتقال القوة، التي ظهرت على يد الأمريكي من أصل إيطالي أبرامو فيمو كينيث أوجانسكي سنة 1958 في كتابه السياسة العالمية World Politics.⁴

² لمعلومات أكثر حول تلك الخطابات، ومظاهر تراجع الغرب بمقابل صعود الشرق، انظر:

عبد القادر دندن، انتقال القوة من الغرب إلى الشرق: إعادة التفكير في مستقبل النظام الدولي (الدوحة - قطر: مركز الجزيرة للدراسات، 2023).

³ معين حداد، تحديات القوى الصاعدة، صحيفة الأخبار، 2024/1/14، في:

<https://al-akhbar.com/Opinion/282420> (شاهد في 2024/9/10)

Jonathan M. Diccico and Jack S. Levy, "Power Shifts and problem Shifts: The evolutions of the power" California, v. 43, n. 6, transition research program," *The Journal of Conflict Resolution*, SAGE Publications, Dec 1999, p. 675.



عمد أوجانسكي في نظريته إلى تقسيم الدول على الصعيد الدولي وفقاً لقوتها في هيكلية تسلسلية أو هرمية، تعتليها القوة العالمية المهيمنة، وتليها القوى الكبرى، ومتبوعة بالقوى المتوسطة، وانتهاءً بالقوى الصغرى، وتوجز النظرية ديناميكيات قوة أو قوى عالمية صاعدة غير راضية على الوضع الدولي القائم، ولذلك تختار مسار تحدي الدولة المهيمنة في النظام الدولي عند الاقتراب من تكافؤ القوة.⁵

ويسهم في دفع القوى الصاعدة لتحدي الفاعل المهيمن ومحاولة زحزحته عن مكانته عاملان أساسيان، وهما المقدرات المكتسبة، وحالة عدم الرضا عن وضع القوة في العلاقات الدولية، إذ يصنف أوجانسكي الفاعلين الدوليين طبقاً لمعيارَي المقدرات ودرجة الرضا عن الموقع في النسق الدولي السائد، إلى أربع فئات وهي: دول قوية وراضية، ودول قوية وغير راضية، ودول ضعيفة وراضية، ودول ضعيفة وغير راضية. ويرى أوجانسكي أن الفئة الثانية التي تضمّ الدول القوية وغير الراضية هي الأكثر تهديداً للقوة المهيمنة في النظام الدولي، وهي الأكثر حرصاً على تحويل القوة لصالحها في التفاعلات الدولية، ومثلت ألمانيا النازية في حقبة ما بين الحربين على سبيل المثال هذا النوع من القوى.⁶

ولذلك فإن الدولة المهيمنة تنظر بعين الترقب والتوجس لوضع الدول الكبرى التي تليها في تدرج هرم القوى، فالقوى الكبرى تملك مقومات الهيمنة، وربما تسعى إلى تحدي القوة المهيمنة في المستقبل، وهو ما يدفع الدولة الأقوى التي تهيمن على أكبر قدر من الموارد، لمحاولة دعم مركزها المهيمن عبر تفوقها العسكري والاقتصادي على منافسيها المحتملين، وإرضاء حلفائها عبر قواعد تخدم مصالحهم، وتعظم من طموحاتها وتطلعاتها القومية.⁷ واكتساب الدول الصاعدة للقوة عبر النمو الاقتصادي والإبداع التكنولوجي والتحالفات، يدفع باتجاه إحداث تكافؤ في القوة بين المتحدي الراض للوضع القائم، والقائد الساعي للحفاظ على الوضع القائم، وهو ما يزيد

David Niebel, "The Power Transition Theory and the Sino-American Contention for Power," *Towson University Journal of International Affairs*, Towson University, Maryland, v. LIV, n. 1, Fall 2020, p. 2.

⁶ محمد شفيق علام، تحول القوة في العلاقات الدولية.. دروس للأمم، سلسلة التقرير الاستراتيجي الثامن (القاهرة، المركز العربي للدراسات الإنسانية، 2011)، ص 323.

⁷ محمد عبد السلام، الجغرافيا السياسية: دراسة نظرية وتطبيقات عالمية (مكتبة نور: د.م، 2020)، ص 890.

من احتمالات الحرب، بينما يؤدي رجحان القوة لصالح الفاعل المهيمن على النظام الدولي القائم إلى غلبة كفة السلام، "الاستقرار بالهيمنة"⁸.

وعليه، يمكن القول أن ظاهرة صعود وهبوط القوى الكبرى تاريخياً، إنما ترجع إلى مجموعة من العناصر المتداخلة، يتعلق بعضها بممارسات تلك القوى وتفاعلاتها على الساحة الدولية، في حين يتعلق البعض الآخر بالأطراف المناوئة لتلك القوى الرافضة لممارساتها واستراتيجياتها الإمبريالية أو التوسعية، والتي تتحين اللحظة التاريخية لإسقاط تلك القوى بل ربما محاولة إرث دورها العالمي أو الإقليمي.⁹ وعلى هدي ما سبق، وما تقدمه النظرية من توصيف لديناميكية حدوث انتقال للقوة مؤثرة في هيكلية النظام الدولي، بناء على عاملي مستوى القدرات والإمكانات لدى المتحدي، ودرجة عدم الرضا لديه عن الوضع القائم.

ويمكن رصد توفر العاملين المذكورين لدى دول مجموعة البريكس وبشكل واضح ومتعاضد. فمن حيث مستوى القوة والإمكانات، تضمّ دول التكتل الخمس الرئيسية مجتمعة أكثر من 40% من سكان العالم، و40% من مساحته، وتسيطر على 18% من تجارة السلع والخدمات في العالم، و25% من الاستثمار الأجنبي.¹⁰ وكشفت أرقام صادرة في نيسان/ أبريل 2023، عن تفوق دول البريكس لأول مرة على دول مجموعة السبع من حيث إسهامها في الاقتصاد العالمي، والتي بلغت 31.5% لصالح دول البريكس، في مقابل 30.7% للقوى السبع الصناعية، وبلغ مجموع احتياطات النقد الأجنبي للدول الأعضاء 4 تريليون دولار.



كما طرحت المجموعة بقوة مسألة الاستقلالية المالية والتمويلية، للانعتاق من هيمنة الدولار، وتحلي ذلك بتأسيسها سنة 2014 لبنك التنمية الجديد New Development Bank ليكون ذراعها المالي الرئيس.¹¹

⁸ Yi Feng, "Global Power Transitions and Their Implications for the 21st Century," Pacific Focus Journal, Center for International Studies, Inha University, South Korea, v. XXVIII, n. 2, August 2013, p. 171.

⁹ محمد شفيق علام، تحول القوة في العلاقات الدولية.. دروس للأمم، ص 323.

¹⁰ هل تنضم مصر والسعودية والجزائر لأقوى تحالف تتزعمه الصين؟، "برنامج المخبر الاقتصادي +"، قناة AJ+ عربي، موقع يوتيوب، 2023/4/15، في: <https://www.youtube.com/watch?v=W6rB5bMcXKk> (شاهد في 2024/9/20)

¹¹ من أهدافها التخلص من الدولار.. ماذا تعرف عن منظمة البريكس؟، موقع قناة الجزيرة.نت، يوتيوب، 2023/4/15، في: <https://www.youtube.com/watch?v=HvbUh5He8cg&t=38s> (شاهد في 2024/9/20)



خريطة رقم 1: دول مجموعة بريكس الرئيسية¹²



وبعد توسيع عضوية المجموعة على إثر مخرجات قمة جوهانسبورغ في آب/ أغسطس 2023، لتشمل ست دول جديدة وهي: مصر وإثيوبيا والسعودية والإمارات وإيران والأرجنتين، تشكل ما عرف بـ "بريكس+ أو BRICS+"، وأسهم هذا التوسع في منح المجموعة ثقلاً سياسياً واقتصادياً وديموграфияً أكبر، حيث أضحت تمثل ما يقرب من نصف سكان العالم 46%، مقارنة بـ 41% بالنسبة لبريكس، مقارنة بأقل من 10% من سكان العالم لمجموعة الدول الصناعية السبع جي 7 أو G7. وتمثل مجموعة البريكس بالفعل حصة أكبر من الناتج المحلي الإجمالي العالمي مقارنة بمجموعة السبع، 31.6% وفق معامل تعادل القوة الشرائية PPP في سنة 2022، وقد أدى التوسع إلى زيادة هذه الحصة إلى أكثر من الثلث ليبلغ 35.6% في سنة 2022، ويبلغ حجم الاقتصادات الـ 11 المشكلة للبريكس+ حالياً بحسب إحصائيات البنك الدولي 29 تريليون دولار. ووفقاً لتوقعات صندوق النقد الدولي International Monetary Fund ستمثل البريكس+ 37.6% من الناتج المحلي الإجمالي العالمي على أساس تعادل القوة الشرائية في سنة 2027، مقارنة بـ 28.2% لمجموعة السبع، كما أن إدراج الأعضاء الجدد يزيد بشكل كبير من حصة المجموعة من موارد وصادرات سلع الطاقة الأساسية في السوق العالمي، الغاز والنفط الخام والنفط المكرر.¹³

¹² Site of BRICS Official, 2018, <https://www.brics2018.org.za/what-brics/site>
¹³ Amandine Afota and Others, "Expansion of BRICS: what are the potential consequences for the global economy?," site of Bulletin de la Banque de France, 250/2, January – February 2024, p. 3.

خريطة رقم 2: مجموعة بريكس بعد التوسعة¹⁴



أما من حيث حالة الرفض وعدم الرضا عن الوضع القائم، فالأعضاء الرئيسيين المشكلين للبريكس قبل توسعها، يصنفون عموماً ضمن القوى الساعية لإعادة تشكيل وبناء النظام الدولي على أسس من التعددية، بما يتناسب مع التغير في توزيع القوى العالمي وما شابه من صعود لفاعول ذات تطورات سياسية واقتصادية وعسكرية ومكانة استراتيجية ودولية متنامية، حتى وإن كان ذلك بدرجات متفاوتة بين كل من الصين وروسيا في كفة، والهند والبرازيل وجنوب إفريقيا في كفة ثانية، حيث يبرز التوجه الصيني والروسي لتغيير النظام الدولي ورفض القواعد القائم عليها حالياً بشكل أكثر حدة وتطرفاً، بينما تعارض القوى الثلاث الأخرى الوضع الدولي القائم والهيمنة الأمريكية، ولكن بشكل أقل حدة بالنظر إلى مستوى قوتها وإمكاناتها، وطبيعة علاقتها بالغرب والولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص. فأعضاء البريكس الرئيسيون، يمثلون تحدياً جدياً لنظام الحكم السياسي والاقتصادي الغربي ضمن النظام الدولي، لأنه نظام بحسب أولئك الأعضاء يفتقد للتعددية والعدالة والديمقراطية، وتقدم بريكس نفسها كأرضية حكم اقتصادية وسياسية بديلة، طامحة إلى تشكيل نظام متعدد الأقطاب أكثر عدلاً

¹⁴ خريطة البريكس الجديدة، موقع سكاي نيوز عربية، 2023/8/25، انظر: <https://www.skynewsarabia.com>

(شاهد في 2024/9/11)



وتوازناً وخدمة لمصالح المجتمع الدولي ككل. فالبريكس تعمل على وضع أطر عمل وتعاون دولية جديدة مالياً واقتصادياً وسياسياً، ومن ثمار جهودها تلك تأسيسها لبنك التنمية الجديد كلبنة لإيجاد كيان مواز للمؤسسات المالية الغربية، وسعيها لتقليص هيمنة الدولار في المعاملات العالمية، عبر انخراطها بشكل واسع في التعاملات البينية بعملاتها المحلية.¹⁵

ثانياً: عوامل ومتغيرات تبلور مواقف القوى الصاعدة من طوفان الأقصى وتطورات الحرب في غزة:



لم تكن تداعيات عملية طوفان الأقصى وما تلاها من حرب عدوانية على غزة من طرف جيش الاحتلال الإسرائيلي ذات تأثير إقليمي فحسب، بل أحدثت انقلاباً سياسياً واستراتيجياً وكان لها أبعادها الاقتصادية

والقانونية التي تعدت حدود المنطقة، فقد أربكت الأحداث الجارية في الشرق الأوسط وتلك العملية الاستثنائية في تاريخ المقاومة الفلسطينية حتى حسابات القوى الدولية، وصرفت الانتباه بشكل كبير ولمدة أشهر عن الحرب الروسية الأوكرانية التي تدخل عامها الثالث، وأثّرت كذلك على التجارة العالمية في البحر الأحمر.¹⁶

وكان لها كذلك تأثيرها البارز على مواقف وتوجهات القوى الدولية تجاه تلك الأحداث، سواء تعلق الأمر بمواقف القوى الغربية أم تلك القوى الموصوفة بالصاعدة والمعارضة للهيمنة الأمريكية على النظام الدولي. ففي حين كان الموقف الغربي والأمريكي على وجه الخصوص منحازاً لـ"إسرائيل" بشكل مطلق كالعادة. وجدت القوى الصاعدة، ولو بدرجات متفاوتة، وعلى رأسها الصين وروسيا، في العملية

¹⁵ Jagannath Panda, "How does BRICS challenge the prevailing international order?," Institute for Security and Development Policy, Stockholm, August 2023, <https://www.isdp.eu/publication/how-does-brics-challenge-the-prevailing-international-order> (Accessed on 11/9/2024)

¹⁶ ماجدة معروف، 100 يوم على طوفان الأقصى.. نقطة لبكين وهدية لموسكو، موقع الجزيرة.نت، 2024/1/14، انظر:

(شاهد في 2024/9/13) <https://www.aljazeera.net>



والحرب الإسرائيلية على غزة، فرصة للتعبير عن مواقفها الرافضة لتلك الجرائم وللسياسة الإسرائيلية المدعومة أمريكياً في المنطقة. وهو ما استغلته تلك القوى لتعزيز مكانتها لدى شعوب المنطقة العربية والعالم الإسلامي،

لتبدو بمظهر المؤيد للحقوق الفلسطينية المهضومة من طرف النظام الدولي الذي تقوده الأحادية الأمريكية ذات القيم الغربية، فتلك القوى بدورها تنظر بعين الريبة والشك للكيان الإسرائيلي في المنطقة، باعتباره كياناً وظيفياً في خدمة الغرب كما يصفه المفكر المرحوم عبد الوهاب المسيري.

انعكس ذلك على المواقف والتوجهات التي تبنتها أهم القوى الصاعدة في النظام الدولي، والتي تتمثل بصفة خاصة في الأعضاء الرئيسيين ضمن مجموعة البريكس، الذين تباينت مواقفهم بين داعمين من مستوى أول للقضية الفلسطينية ومعارضين للحرب الإسرائيلية، ونجد ضمن هذه الفئة كل من الصين وروسيا وجنوب إفريقيا، وجميعها رفضت إدانة عملية طوفان الأقصى بأي شكل، بينما كانت البرازيل والهند من المنددين بالعملية ووصفتها بالإرهابية، غير أن تطورات الموقف البرازيلي لاحقاً كانت أكثر إيجابية ودعماً للفلسطينيين، ومنددة بالعدوان الإسرائيلي وجرائمه، وفي حين شكلت الهند الاستثناء هذه المرة بموقفها الأكثر ميلاً نحو الجانب الإسرائيلي، على عكس توجهها التاريخي التقليدي المؤيد للحق الفلسطيني. وفيما يلي نستعرض هذه المواقف والتوجهات عبر النقاط التالية:

1. الصين... تأكيد الحضور في المنطقة ومناهضة السياسات الأمريكية:

بدأت المواقف التي عكستها التصريحات الرسمية لمسؤولين صينيين حول عملية طوفان الأقصى والحرب على غزة، مفاجئة بالنسبة للمراقبين في الغرب وفي "إسرائيل"، فقد امتنعت الصين عن إصدار أي إدانة صريحة لحركة حماس وفصائل المقاومة الفلسطينية بعد العملية، بمقابل المسارعة إلى التأكيد على أن الغارات الجوية الإسرائيلية "تجاوزت الدفاع عن النفس"، وإدانتها بحسبانها "عقاباً جماعياً" للفلسطينيين، في حين ألفت وسائل الإعلام الصينية باللوم على الولايات المتحدة في تأجيج الصراع. بل أن المسؤولين الصينيين حرصوا على الإشارة إلى السبب الجذري للصراع وهو أن القضية الفلسطينية "لم تتم تسويتها بشكل عادل بعد" كما جاء على لسان تشاي جون Zhai Jun المبعوث الخاص للحكومة الصينية إلى



الشرق الأوسط. أما ذروة التصريحات الصينية فجاءت على لسان ما شينمين Ma Xinmin، المدير العام لإدارة المعاهدات والقانون بوزارة الخارجية، أمام محكمة العدل الدولية International Court of Justice في شباط/ فبراير 2024، حين أكد أن الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي "ينبع من احتلال إسرائيل للأراضي الفلسطينية والقمع الإسرائيلي الطويل الأمد للشعب الفلسطيني.. وأن نضاله عادل لاستعادة حقوقه المشروعة".¹⁷



وانج يي

خلف الموقف المبدئي للصين من الأحداث خيبة أمل واستياء كبيرين لدى الإسرائيليين، إذ صرّح مسؤول رفيع المستوى بالسفارة الإسرائيلية في بكين بأن تل أبيب كانت تتوقع "إدانة أقوى" لحماس، وبعد أربعة أيام فقط، خرج وزير الخارجية الصيني وانج يي Wang Yi بتصريح أكد فيه على الحقوق الفلسطينية، قائلاً: "تمتلك إسرائيل الحق في أن يكون لها دولة، وكذلك فلسطين. لقد حصل الإسرائيليون على ضمانات لبقائهم، ولكن من يكثر ببقاء الفلسطينيين؟ إن الشعب اليهودي لم يُعد مُشرّداً في الأرض، ولكن متى يعود الشعب الفلسطيني إلى بيوته؟".¹⁸

بل وأشرفت الصين التي تعترف بحركة حماس، ولا تصنف أياً من فصائل المقاومة الفلسطينية أو حزب الله ضمن قائمة الإرهاب، ما بين 21 و2024/7/23 على مؤتمر مصالحة ضمّ 14 فصيلاً فلسطينياً على رأسها حركتي فتح وحماس، اتفقت فيه على ما سمي بإعلان بكين الذي ضمّ ثماني نقاط أساسية، للخروج من حالة الانقسام والوصول إلى توافق حول مشروع وطني فلسطيني جامع.¹⁹

¹⁷ محمد السعيد، التنين وإسرائيل.. من أرض الميعاد الصينية إلى زمان طوفان الأقصى، الجزيرة.نت، 2024/7/23. (شاهد في 2024/9/13)

¹⁸ ماجدة معروف، 100 يوم على طوفان الأقصى.. نقطة لبكين وهدية لموسكو، الجزيرة.نت، 2024/1/14.

¹⁹ عدنان البرش وعاطف عبد الحميد، هل هناك جديد في "إعلان بكين" قد يحقق المصالحة الفلسطينية على أرض الواقع؟، موقع بي بي سي نيوز عربية، 2024/7/27، في: <https://www.bbc.com/arabic/articles/c134yvz8n1ko> (شاهد في 2024/9/10)

ويمكن قراءة الموقف الصيني من عملية طوفان الأقصى والحرب على غزة، ضمن مقارنة تشمل موقع المنطقة في سياسة الصين الخارجية وأجندتها الاقتصادية من جهة، ودور "إسرائيل" ضمن خريطة الهيمنة الغربية والأمريكية في المنطقة من جهة أخرى، وذلك من خلال ما يلي:



◀ • شروع الصين التدريجي في التحول بشكل

ملحوظ من التركيز على الجانب الاقتصادي في علاقاتها بمنطقة الشرق الأوسط إلى الجانب السياسي والمصالح الاستراتيجية. وقد اتضح ذلك في تبنيها لمبادرات وخطوات عديدة

حققت لها اختراقاً غير مسبوق في المنطقة، بطرحها في آذار/ مارس 2021 لمبادرة النقاط الخمس لتحقيق الأمن والاستقرار في المنطقة، وفي تموز/ يوليو 2021 قدمت رؤيتها لحل الأزمة السورية والمستندة على أربع نقاط. وفي الشهر ذاته طرحت رؤية ذات ثلاث نقاط لتطبيق حلّ الدولتين في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي.²⁰ وأهم إنجازات الدبلوماسية الصينية في المنطقة، هو إشرافها التاريخي في بكين على تحقيق التقارب السعودي - الإيراني يوم 2023/3/10، والذي أثبتت من خلاله أنها قادرة على صناعة إنجاز دبلوماسي في قضية طالما استعصت على الأمريكيين.²¹

◀ • رؤية الصين لمنطقة الشرق الأوسط وما تعجّ به من نزاعات وصراعات نفوذ، كجزء من صراعها العالمي مع الغرب والولايات المتحدة الأمريكية لتغيير بنية النظام الدولي وهيكلته نحو التعددية القطبية، إذ تستغل الصين ما يحدث في الشرق الأوسط كورقة مناورة لتحقيق أهدافها في تقويض النفوذ العالمي للولايات المتحدة ورفع مكانة الصين وسط دول "الجنوب العالمي"، المعروفة عموماً بنصرتها للقضايا التحررية وعلى رأسها القضية الفلسطينية، وفي مقدمتها الشعوب والدول العربية والإسلامية التي يهّم

²⁰ هدير طلعت سعيد، "السلام التنموي الصيني في مواجهة السلام الليبرالي الغربي.. الرؤى والمركزات"، مجلة السياسة الدولية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، العدد 232، أبريل 2023، ص 179.

²¹ عارف عبد البصير، ميدان: أسرار المصالحة السعودية الإيرانية.. ماذا ستكسب الرياض وطهران؟ وما طبيعة الدور الصيني؟، الجزيرة.نت، 2023/3/13. (شاهد في 2024/9/12)



الصين كثيراً كسب ودّها وتعاطفها. فبكين ترى في "الصراع الفلسطيني الإسرائيلي" في الوقت الراهن ساحة مواتية لتحدي الهيمنة الأمريكية ومواصلة انتقاد سياسات واشنطن في الشرق الأوسط ودورها في الصراعات والأزمات العالمية بشكل عام، وانتقادها الكبير لسياسات واشنطن الداعمة لممارسات "إسرائيل" في فلسطين والمنطقة ككل، كجزء من مسعى بكين لإضعاف الموقف الأمريكي الشعبي في الشرق الأوسط ودول الجنوب العالمي بشكل عام، وتسليط الضوء على انتقادات بكين المعتادة للنظام العالمي بقيادة أمريكية.²²



• حماية المصالح الاقتصادية الصينية في المنطقة، فمعلوم ما للصين من ارتباط اقتصادي كبير وحساس بالشرق الأوسط ولا سيّما في مجال الطاقة، وخصوصاً منذ إعلان مبادرة الحزام والطريق في صيغتها الجديدة سنة 2013، أيّ

شرعت الصين في تركيز جهودها على ضمان الأمن والاستقرار في المناطق التي يمرّ بها المشروع ومن بينها منطقة الشرق الأوسط.²³

• وتؤكد هذا المنظور الصيني بشكل ميداني، مع تأثر الملاحة البحرية بشكل غير مسبوق بهجمات الحوثيين ضدّ السفن العابرة لباب المندب والبحر الأحمر نحو الموانئ الإسرائيلية، وهي الطريق ذاته التي تسلكها نسبة معتبرة من تجارة الصين و وارداتها الطاقوية، فنحو 120 مليار دولار أمريكي من الواردات الصينية، و160 مليار دولار أمريكي من صادراتها تتدفق عبر مضيق باب المندب كل عام، وتعطل التجارة في البحر الأحمر، وممرات النقل الأخرى التي تربط الصين ببقية العالم، يفرض ضغوطاً إضافية

²² محمد السعيد، التنين وإسرائيل.. من أرض الميعاد الصينية إلى زمان طوفان الأقصى، الجزيرة.نت، 2024/7/23.

²³ هدير سعيد، "السلام التنموي الصيني في مواجهة السلام الليبرالي الغربي.. الرؤى والمرتكزات"، السياسة الدولية،

على التجارة الصينية، على الرغم من أن السفن الصينية غير مستهدفة من طرف الحوثيين بشكل مباشر.²⁴

◀ • توظيف الحرب في المنطقة لتحقيق مكاسب استراتيجية، إذ يمكن للصين الاستفادة من الانغماس والتعثر الأمريكي في الشرق الأوسط وغيره من الساحات خارج آسيا من أجل تحسين وضعها الاستراتيجي في جوارها المباشر، وصرف نظر واشنطن عما يحدث في تايوان وبحر الصين الجنوبي. مع الأمل في أن يكون موقفها الخطابي المناهض للحرب في غزة، بوابة نحو كسب دعم دول الجنوب العالمي وخصوصاً العربية والإسلامية منها أو ضمان حيادها على الأقل، إذا ما اتخذت قراراً مستقبلياً بغزو تايوان.²⁵

بشكل مجمل، فقد منحت عملية طوفان الأقصى والحرب على غزة، الصين مساحة أوسع بكثير للتحرك سياسياً في المنطقة، ومصدقية تفوق الولايات المتحدة بكثير، إذ أعاد موقفها إلى الأذهان ذكريات دعم القضية الفلسطينية في أثناء الحرب الباردة، لا سيما وأنها لا تمتلك إرثاً استعماريّاً في المنطقة، مثل الغرب، ولم تتورط من قبل في صراعاتها، مثل روسيا، ومنحت العملية نقطة تفوّق وأفضلية لبكين.²⁶

2. روسيا... صرف النظر عن أوكرانيا وزعزعة المكانة الأمريكية في المنطقة:



دعت موسكو منذ اليوم الأول لعملية طوفان الأقصى إلى وقف إطلاق النار، وإدانة العنف دون إدانة محددة لطرف معين، والدعوة لتغليب الحوار والديبلوماسية، مع التأكيد على مسألة حلّ الدولتين، وتحديد إقامه دولة فلسطينية عاصمتها

القدس. وتساعد الموقف الروسي بشكل تدريجي تجاه العملية بصورة تميل نسبياً لصالح الطرف

²⁴ كيف تؤثر اضطرابات البحر الأحمر على الاقتصاد الصيني؟، سكاي نيوز عربية، 2024/1/30. (شاهد في 2024/9/10)

²⁵ محمد السعيد، التنين وإسرائيل.. من أرض الميعاد الصينية إلى زمان طوفان الأقصى، الجزيرة.نت، 2024/7/23.

²⁶ ماجدة معروف، 100 يوم على طوفان الأقصى.. نقطة لبكين وهدية لموسكو، الجزيرة.نت، 2024/1/14.



الفلسطيني، بتقديمها لمسودة قرار في مجلس الأمن الدولي UN Security Council، تمت عرقلة من قبل الولايات المتحدة ودول أخرى، يُدين بشدة العمليات الإسرائيلية الوحشية ضدّ المدنيين في غزة،



فلاديمير بوتين

ويصفها بالأعمال الإرهابية.²⁷ واستخدمت روسيا حق النقض "الفيتو" في جلسات مجلس الأمن، وذلك بدافع تعطيل مشاريع القرارات التي تمنح "إسرائيل" الحق بالدفاع عن نفسها، في مقابل إنكار حقّ الفلسطينيين بذلك، ورفضها للقرارات التي تصنف حماس منظمة إرهابية، أو تلك التي تدعو إلى استمرار الحرب وترفض وقف إطلاق النار.²⁸ وشبه الرئيس الروسي فلاديمير بوتين Vladimir Putin في تعليقه الأولي على الأحداث، الحصار الذي يفرضه الاحتلال الإسرائيلي على قطاع غزة بحصار ألمانيا النازية لمدينة لينينغراد الروسية خلال الحرب العالمية الثانية.²⁹

لقد وجدت روسيا في تداعيات العملية والحرب الإسرائيلية على غزة، فرصة للتأكيد على صواب مواقفها المتعلقة بالأضرار الجسيمة التي تحملها السياسات الأمريكية للأمن والاستقرار في الشرق الأوسط وأوكرانيا وشرق آسيا وغيرها من مناطق العالم، وبالتالي فنظام دولي بقيادة أمريكية ووفقاً لتلك الرؤية والسياسات لا يمكنه إلا أن يكون عرباً للحروب، ومنحازاً للغرب وحلفائه وعلى رأسهم "إسرائيل"، ولو على حساب بقية الدول وقضاياها.

وسعت روسيا إلى كسب بعض النقاط في سُلّم شعبيتها في المنطقة، عبر رفض الموقف الغربي المنحاز لـ"إسرائيل"، والامتناع عن إدانة هجمات السابع من أكتوبر، لا سيّما وأنّ عدوّتها كيف قد انحازت انخيازاً صارخاً لدولة الاحتلال ودانت الهجمات بشدة، وهو ما أسهم في نشر مشاعر سلبية تجاه أوكرانيا

²⁷ دانة العنزي، قراءة في الموقف الروسي من طوفان الأقصى، صحيفة الرأي، الأردن، 2023/11/13، في: <https://alrai.com> (شاهد في 2024/9/11)

²⁸ نبيل الجبيلي، ما هي المواقف الروسية الداعمة لقطاع غزة؟، الجزيرة.نت، 2023/11/14. (شاهد في 2024/9/11)

²⁹ بوتين: حال غزة كحال لينينغراد في الحرب العالمية الثانية، موقع قناة الميادين، 2023/10/14، انظر:

<https://www.almayadeen.net> (شاهد في 2024/9/12)



في المنطقة، ووجدت روسيا في اضطرابات الشرق الأوسط فرصة للفت الأنظار ولو قليلاً عن حربها في أوكرانيا، مع آمالها بأن تكون تطورات المنطقة وضرورة دعم "إسرائيل" عاملاً مؤثراً بالسلب على الدعم الأمريكي والأوروبي لكيف، مع تشتت جهود الدعم على الجبهتين الأوكرانية والإسرائيلية، وقد أعادت الولايات المتحدة بالفعل توجيه عشرات الآلاف من القذائف التي كان من المفترض أن تذهب إلى أوكرانيا، وأرسلتها إلى دولة الاحتلال قبل أيام من بدء الغزو البري لغزة.³⁰

وكان الغضب الإسرائيلي من المواقف الروسية قد بلغ قمته، جراء استقبال موسكو لوفد من حركة حماس في شهر تشرين الأول/ أكتوبر 2023، أي بعد أيام قليلة فقط من عملية طوفان الأقصى،



وطالبت تل أبيب بطرد الوفد الزائر فوراً، إذ رأت إلى جانب الغرب في الزيارة وتوقيتها اصطفاً روسياً مع "معسكر الإرهابيين" بحسب وصفهم. فخلاًفاً للولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي European Union، لم تدرج موسكو حركة "حماس" على "لائحة الإرهاب"، والأمر ذاته ينطبق على موقفها من حزب الله اللبناني والحوثيين في

اليمن، بل حافظت على قنوات اتصال ثابتة مع حماس في كل مراحل الأزمة الفلسطينية، وخلال المواجهات السابقة التي وقعت بين الفصائل الفلسطينية في قطاع غزة و"إسرائيل". وصنف المراقبون ذلك ضمن "عنصر المناكفة" الروسية مع الغرب من جانب، ورغبة موسكو في إظهار تميّز مواقفها عن الولايات المتحدة وأوروبا في تحديد أنماط العلاقة مع الفاعلين في الملفات الإقليمية الساخنة من جانب آخر.³¹

3. جنوب إفريقيا... التحرك القانوني لنصرة الروابط النضالية المشتركة مع الفلسطينيين:

يبيّن تصفح السياق التاريخي الاستعماري في فلسطين وجنوب إفريقيا تشابه مجريات الأحداث في الحالتين بشكل لافت، إذ تعرّض الجانبان لغزو استعماري أجنبي استيطاني، نتج عنه نظامان للتمييز

³⁰ ماجدة معروف، 100 يوم على طوفان الأقصى.. نقطة لبكين وهدية لموسكو، الجزيرة.نت، 2024/1/14.

³¹ لماذا استقبلت موسكو وفد حماس في خضم حرب غزة؟، موقع الشرق نيوز، 2023/10/29، انظر: <https://asharq.com> (شاهد في 2024/9/10)



العنصري، قاما على بناء سياسي أيديولوجي يزعم التحضر والتفوق، ويؤسس للفصل بين الغزاة والسكان الأصليين. وشكّل ذلك معضلة وجودية للنظامين العنصريين، وأزمة تاريخية استعصى عليهما حلها، عنوانها الثابت "الحضور التاريخي للشعب صاحب البلاد، وحتمية الاعتراف بحقيقة وجوده، وبحقوقه الطبيعية والسياسية". وفي الحالتين تمّ اقتراح العديد من المذابح ضدّ السكان الأصليين، وتطبيق النظام بواسطة أجهزة أمنية في منتهى القسوة.³²

وكثيراً ما تُطرح المقارنات بين الفصل العنصري في جنوب إفريقيا وأوضاع الفلسطينيين والعرب تحت الاحتلال الإسرائيلي، عبر عديد من التماثلات؛ من أبرزها على الإطلاق سياسة نظام التصاريح للحدد من حركة السكان، وسياسة العزل عبر إنشاء جيوب عرقية لعزل السكان الأصليين العرب والأفارقة.³³



نيلسون مانديلا

استحضاراً لتلك التماثلات، عبّرت جنوب إفريقيا مراراً عن تضامنها مع الفلسطينيين، وكانت مقولة نيلسون مانديلا Nelson Mandela عن الحرية المنتقصة لشعبه وبلاده بدون حرية الشعب الفلسطيني أيقونة ذلك التاريخ النضالي المشترك بينهما، وغداة عملية طوفان الأقصى والعدوان على غزة، اختارت جنوب إفريقيا نهج المواجهة القانونية مع الاحتلال في أروقة محكمة العدل الدولية، كسبيل لفضح ممارساته وإرغامه على مواجهة القانون الدولي للمرة الأولى في تاريخه.

وبالفعل، قامت دولة جنوب إفريقيا في 2023/12/29، برفع دعوى إلى محكمة العدل الدولية، تتهم فيها "إسرائيل" بارتكاب جريمة إبادة ضدّ الإنسانية. وتعدّ الدعوى المرفوعة في محكمة العدل الدولية بخصوص ارتكاب جريمة إبادة جماعية، استرجاعاً لقضية الفصل العنصري "الأبارتهايد Apartheid"،

³² عبد الغني سلامة، "أوجه التشابه والاختلاف بين قضيتي فلسطين وجنوب إفريقيا - دراسة مقارنة"، مركز الأبحاث الفلسطيني، منظمة التحرير الفلسطينية، 2018، انظر: <https://www.prc.ps> (شاهد في 2024/9/13)

³³ كاميليا حسين، ما بين فلسطين وجنوب أفريقيا.. تاريخ طويل من النضال في مواجهة الفصل العنصري، الجزيرة.نت، 2024/1/16. (شاهد في 2024/9/14)

الذي عانى منه شعب جنوب إفريقيا طويلاً، قبل أن يتخلص منه سنة 1994.³⁴ وتضمن طلب جنوب إفريقيا التماساً من المحكمة بفرض تدابير مؤقتة، احترازية، نظراً إلى ارتباطها بالحقوق موضوع النزاع، ولأهميتها القصوى في ضمان الحماية العاجلة والكاملة للفلسطينيين. ومسؤولية "إسرائيل" عن أفعال الإبادة الجماعية ضدّ الفلسطينيين في القطاع، منتهكة بذلك التزاماتها الناشئة عن اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها لسنة 1948 التي انضمت إليها كل من جنوب إفريقيا و"إسرائيل".³⁵

وبعد النظر بالدعوى في كانون الثاني/يناير 2024، أمرت المحكمة في قرارها بستة تدابير مؤقتة، تشمل الطلب من "إسرائيل" الامتناع عن ارتكاب أعمال تدخل في اتفاقية منع الإبادة الجماعية، ومعاقبة التحريض المباشر والعلني على الإبادة الجماعية، واتخاذ خطوات فورية فاعلة لضمان توفير المساعدات الإنسانية للمدنيين في غزة. ولاحقاً في 24 مايو/أيار 2024، أصدرت محكمة العدل، استجابة لطلب



عاجل تقدمت به جنوب إفريقيا؛ قراراً يلزم "إسرائيل" بوقف عملياتها العسكرية في رفح، وفتح كل المعابر البرية للقطاع، ولا سيما معبر رفح، كما ذكرت أن الشروط مستوفاة لاتخاذ إجراءات طارئة جديدة في قضية اتهام "إسرائيل" بالإبادة الجماعية.³⁶ ورأت

جنوب إفريقيا قرارات المحكمة انتصاراً لها ولحقوق الشعب الفلسطيني، وكانت العديد من الدول قد انضمت لدعوى جنوب إفريقيا أو أبدت نيتها للتدخل، مثل الشيلي والمكسيك، وإيرلندا، وبلجيكا، وإسبانيا، وتركيا، ونيكاراغوا، وكولومبيا، وليبيا، والمالديف، ومصر.³⁷

³⁴ محمد ياسين نجار، جنوب إفريقيا تسترجع تاريخها النضالي، الجزيرة.نت، 2024/1/18. (شاهد في 2024/9/12)

³⁵ نزار أيوب، "قضية جنوب إفريقيا ضد إسرائيل بشأن تطبيق اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية في غزة"، موقع المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2024/1/31، في: <https://www.dohainstitute.org/ar/Lists/ACRPS->

PDFDocumentLibrary/south-african-genocide-case-against-israel.pdf (شاهد في 2024/9/12)

³⁶ بعد مواقفها ضد إسرائيل.. علاقات جنوب إفريقيا مع الغرب على المحك، الجزيرة.نت، 2024/6/5. (شاهد في 2024/9/11)

³⁷ تعرف على الدول التي انضمت لجنوب إفريقيا في دعواها ضد إسرائيل، الجزيرة.نت، 2024/5/15. (شاهد في 2024/9/13)



بالإضافة إلى التاريخ والتمثيلات النضالية، تنبع مواقف جنوب إفريقيا المهتمة بما يحدث في غزة من اعتبارات أخرى سياسية واستراتيجية، مرتبطة بموقف صنّاع السياسات في جنوب إفريقيا من ضرورة رؤية نظام عالمي أكثر تعددية. لأن التعددية القطبية هي مفتاح حلّ المشاكل الدولية وتحقيق استقرار أكبر للأوضاع، وذلك ما يقربها من توجهات قوى مثل الصين وروسيا، وهو ما جعلها تنضم لمجموعة البريكس لتلاقي المصالح ذاتها فيما بينها، ومكانتها الاستراتيجية في إفريقيا ودورها اليوم كلاعب عالمي يوفران لها فرص تأمين مصالحها واستقلالها في اتخاذ مواقف تجاه قضايا دولية حسب سياساتها الخارجية، كما يجعلانها عرضة للتأثر بتداعيات المنافسة الجيوسياسية بين الغرب وروسيا والصين، مع الإشارة إلى أن جُلّ علاقات البلاد مع الدول الغربية ذات طبيعة اقتصادية، بينما علاقاتها مع دول الجنوب العالمي أكثر عمقاً.³⁸

4. البرازيل... بين أيديولوجية اليسار ومخاوف اليمين وجماعات الضغط:

في مساء اليوم الأول لعملية طوفان الأقصى، غرّد الرئيس البرازيلي لولا دا سيلفا



لولا دا سيلفا

Lula da Silva على حسابه في منصة إكس X platform قائلاً: "صُدِّمْتُ من الهجمات الإرهابية اليوم ضد المدنيين في إسرائيل التي أوقعت العديد من الضحايا، أُعْرِبُ عن تعازيٍّ لأسر الضحايا وأؤكد مجدداً رفضي للإرهاب بجميع أشكاله". وأعرب عن نية بلاده منع تصعيد الصراع والعمل على "الاستئناف الفوري للمفاوضات التي تؤدي إلى حلٍّ للصراع يضمن وجود دولة فلسطينية قادرة على البقاء

اقتصادياً وتعيش بسلام مع إسرائيل". وجاء ذلك مباشرة بعد أن دعت البرازيل التي تتولى الرئاسة الدورية لمجلس الأمن في ذلك الشهر إلى اجتماع طارئ للمجلس "يبحث الصراع بين إسرائيل وحركة حماس"، فيما أصدرت وزارة الخارجية البرازيلية بياناً أكدت فيه "الالتزام بحل الدولتين"، وفي 12 تشرين الأول/أكتوبر أجرى لولا دا سيلفا مكالمة هاتفية مع رئيس الاحتلال إسحق هيرتزوج Isaac Herzog أكد له فيها

³⁸ بعد مواقفها ضد إسرائيل.. علاقات جنوب إفريقيا مع الغرب على المحك، الجزيرة.نت، 2024/6/5. (شاهد في

"إدانة البرازيل للهجمات الإرهابية وتضامنها مع أسر الضحايا" وشدّد على ضرورة "ألا يصبح الأبرياء ضحايا للمجانين الذين يريدون الحرب"، وطلّب منه "إقامة ممرٍ إنساني حتى يتسنى لمن يريدون مغادرة قطاع غزة عبر مصر المغادرة بأمان".³⁹

على الرغم من تأكيد الموقف البرازيلي الأولي على الحق الفلسطيني، ودعوته لتجنب إسقاط ضحايا مدنيين أبرياء والتمادي في الرد العسكري ضدّ الفلسطينيين، إلا أن إدانة هجمات حماس ووصفها بالإرهابية، شكّل موقفاً مبدئياً غير متوقع لا سيّما مع كون السلطة في البلاد بيد تيار اليسار المعروف بتوجهاته المساندة لحركات التحرر والمقاومة على العموم. على عكس تيار اليمين القومي المتطرف الذي كان سائداً في عهد الرئيس البرازيلي الأسبق جايير بولسونارو Jair Bolsonaro المؤيد الصريح لـ "إسرائيل" وسياساتها، إلى الحدّ الذي كان يخطط فيه لنقل سفارة بلاده في "إسرائيل" نحو القدس، وظهوره في مناسبات عديدة بقميص يحمل علم "إسرائيل"، مع عدائه الواضح للعرب والمسلمين، مما جعل الكثيرين يلقبونه بـ "ترامب البرازيل".



جايير بولسونارو

غير أن الموقف الأولي لليسار البرازيلي الحاكم المدين لعملية طوفان الأقصى، يمكن تبين خلفياته إذا علمنا أن هناك عدة عوامل ومتغيرات أثّرت في صدور ذلك الموقف، فـ "لولا دا سيلفا" الذي كان سابقاً ضحية لمؤامرة من اليمين أودت به إلى السجن، يدرك أن خيوط اللعبة السياسية في البرازيل أضحت معقّدة أكثر من أي وقت مضى، وأنّ مستقبله السياسي ومصير تيار اليسار مرهون بتطورات على الساحة السياسية البرازيلية، تفرض عليه نوعاً من الحرص والتوازن في المواقف تجاه قضايا بتلك الحساسية. وكما استخلص الدكتور وليد عبد الحي الباحث في الدراسات المستقبلية في دراسته حول تفسير الموقف البرازيلي من طوفان الأقصى، فهناك ثلاثة متغيرات تتحكم بقدر كبير في تحديد السياسة البرازيلية تجاه فلسطين، وهي:

³⁹ إبراهيم يونس، طوفان الأقصى وموقف اليسار في أمريكا اللاتينية، موقع قناة الميادين، 2023/10/18. (شاهد في 2024/9/13)





أ. تأثير اللوبي الزراعي في البرازيل، والذي يتمتع

بنفوذ وسلطة هائلتين، ولهذا القطاع الزراعي جماعات ضغط متنفذة للغاية في الحكومة، فهناك ثلاثمائة عضو من السلطة التشريعية البرازيلية منضمون لها، ثلثي أعضاء السلطة، مما يجعلهم قادرين على تعطيل أيّ سياسات تؤثر

على مصالحهم في القطاع الزراعي، لا سيّما وأن صادراتهم نحو "إسرائيل" تبلغ 2 مليار دولار سنوياً، ونحو السلطة الفلسطينية ثلاثين مليون دولار، وبالرغم من أن صادراتهم للدول العربية تبلغ 18 مليار دولار، إلا أن مواقفهم تجاه القضية الفلسطينية مرتبط بمدى الضغط الذي يمكن أن تمارسه الدول العربية لاتخاذ قرارات في صالح الجانب الفلسطيني.

ب. تنامي تيار المسيحية الصهيونية في البرازيل، باتساع المساحة المحتملة للتحوّل إلى "المسيحية الصهيونية" ضمن التيار الإنجليكاني، والذي يدعو لإقامة "دولة يهودية" في أرض الميعاد تمهيداً لعودة المسيح، وتُقدّر بعض الدراسات أن نسبتهم في البرازيل ستصل 40% خلال العقد القادم، وخطورة هذا التيار في تغلغله في دوائر السلطة، فهم يحتلون 25% من مقاعد البرلمان، و17% من مقاعد مجلس الشيوخ.

ج. قوة اليمين وعلاقاته المتينة بـ"إسرائيل"، فقد كانت الأنظمة اليمينية في أمريكا اللاتينية ومن بينها البرازيل تواجه ضغوطاً يسارية حادة، مما دفعها للاستعانة بالولايات المتحدة وغيرها من القوى بما فيها "إسرائيل"، وتكرّست هذه الروابط الأمنية منذ سنة 2008، إلى حدّ أن دا سيلفا اليساري واصل هذه السياسة خلال رئاسته الثانية 2007-2010، عندما وقّع اتفاقية تعاون أمني مع "إسرائيل".

ولكن بعد مرور أشهر قليلة فقط عن عملية طوفان الأقصى، حدثت تطورات مشهودة في الموقف البرازيلي الذي أصبح أكثر قوة ووضوحاً في إدانة "إسرائيل"، إلى الحدّ الذي صنفت فيه هذه الأخيرة لولا دا سيلفا كشخص غير مرغوب فيه، وطردت السفير البرازيلي في تل أبيب بعد استدعائه لمقر وزارة



بنيامين نتنياهو

الخارجية وتوبيخه، وذلك على خلفية تصريحات لولا دا سيلفا في مؤتمر القمة الإفريقية في شباط/ فبراير 2024، التي شبه فيها سياسات "إسرائيل" تجاه غزة بسياسات أدولف هتلر Adolf Hitler تجاه اليهود خلال المحرقة، فقد وصفت رئاسة الحكومة الإسرائيلية بتصريحات رئيس البرازيل بـ "المخزية والخطيرة"، وقال رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو Benjamin Netanyahu إن "مقارنة إسرائيل بـ 'المحرقة النازية' وهتلر تجاوز للخط الأحمر".⁴⁰

وكانت البرازيل قبل ذلك قد أيدت جنوب إفريقيا في دعواها المرفوعة ضدّ "إسرائيل" أمام محكمة العدل الدولية بتهمة القيام بإبادة جماعية في غزة، وعلى الرغم من كل الضغوط رفض الرئيس البرازيلي التراجع عن تصريحاته، وأكد أنه لن يتخلى عن "كرامته في وجه الباطل". وأبعد من ذلك، استدعى "لولا" سفير بلاده في "إسرائيل" للتشاور، وأمر باستدعاء سفير الاحتلال لتوبيخه وطرده من البلاد.⁴¹ ومهما يكن، فإن الموقف الخطابي والعملي للبرازيل يعدّ موقفاً قوياً من القوة الإقليمية الأولى في أمريكا اللاتينية، مع ما لها من وزن في المحافل الدولية، وكعضو بارز في مجموعة البريكس، ودولة طامحة لنيل عضوية دائمة في مجلس الأمن مستقبلاً، وتضمّ ملايين العرب الذين هاجروا إليها منذ القرن الـ 19، بالرغم من الحسابات السياسية المعقدة والصعبة في البلاد، والتي ينبغي مراعاتها في أي تحليل للموقف البرازيلي.

5. الاستثناء الهندي... النزعة القومية المتطرفة تنتصر على المواقف التاريخية:

بعد ساعات فقط من هجوم فصائل المقاومة الفلسطينية على غلاف غزة يوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر، سارع رئيس الوزراء الهندي ناريندرا مودي Narendra Modi لإعلان دعمه الكامل لـ "إسرائيل"، وعبر كما يقول عن صدمته مما أسماه "الهجوم الإرهابي من حماس على إسرائيل"، وهو الأمر ذاته الذي تبناه أيضاً وزير خارجيته على الفور زاعماً أن "الهند قد تواجه المصير ذاته إذا لم تقف في وجه التطرف". وامتنعت الهند عن التصويت لصالح وقف إطلاق النار لأسباب إنسانية في

⁴⁰ رئيس البرازيل يشبه إسرائيل بنظام هتلر وتل أبيب تستدعي سفير بلاده، الجزيرة.نت، 2024/2/18. (شاهد في

(2024/9/14

⁴¹ رئيس البرازيل يرفض التراجع عن تصريحاته وإدانته لإسرائيل، الجزيرة.نت، 2024/2/24. (شاهد في 2024/9/14)



غزة في الأمم المتحدة United Nations يوم 2023/10/27، بحجة أن "القرار لا يتضمن إدانة صريحة لهجوم الفصائل الفلسطينية"، بالتوازي مع شنّ المتطرفين الهندوس لحملة لنشر معلومات مضللة على مواقع التواصل بشأن ما يحدث في غزة لصالح السردية الإسرائيلية، كما سمحت السلطات الهندية بالتظاهرات الداعمة لـ"إسرائيل" في مختلف أنحاء البلاد، في مقابل قمع الاحتجاجات الداعمة للفلسطينيين في الهند.⁴²

وتُشير مواقف الهند الأُمّية منذ بداية عملية طُوفان الأقصى، إلى وجود تحولات في المصطلحات الدبلوماسية المعتادة لدى نيودلهي تجاه القضية الفلسطينية، بالمزاوجة بين الإشارة إلى "مكافحة الإرهاب" من جهة، والتأكيد على الموقف الهندي الداعم لإقامة دولة فلسطينية مستقلة من جهة أخرى. في إطار سياسة سمّتها مندوبة الهند في الأمم المتحدة روشيرا كامبوج Ruchira Kamboj بـ"التوازن الصحيح"، وباتت الهند كما تدلّ التصريحات الدبلوماسية لمسؤوليها، تفصل بين القضية الفلسطينية وما يحدث في قطاع غزّة، بما فيها حركات المقاومة الفلسطينية، على أنّ التدقيق في المواقف الهندية بعد عملية طُوفان الأقصى والعدوان الإسرائيلي، يوضّح انخيازاً واضحاً لصالح "إسرائيل"، ويكشف تعييرات في المواقف



ناريندرا مودي

الهندية التقليدية. فقد كانت الهند تدعو إلى إقامة دولة فلسطين "على النحو المعتاد في قرارات مجلس الأمن والجمعية العامة [General Assembly] للأمم المتحدة ذات الصلة". ومع وصول حزب ناريندرا مودي اليميني المتطرف إلى الحكم، أصبح نهجها قائماً على الدعوة لدولة فلسطينية مع الإشارة إلى القرارات الأُمّية دون تحديدها. أما موقفها بعد عملية طُوفان الأقصى، فلم تتم الإشارة فيه بتاتاً إلى قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة،

مع تأييد المفاوضات لحلّ الدولتين، وهو موقف دبلوماسي فضفاض، يتضمن تأويلات سياسية ودبلوماسية، قد تستخدمها الهند مستقبلاً عند تبني مواقف قد تكون داعمة لـ"إسرائيل". وهذا الانتقال

⁴² دعم لا مشروط وقمع مظاهرات.. كيف أصبحت الهند مؤيدة قوية لإسرائيل؟، صحيفة العربي الجديد، لندن، 2023/11/5، انظر: <https://www.alaraby.com> (شاهد في 2024/9/11)

من الدعوة إلى تطبيق قرارات الأمم المتحدة إلى المفاوضات، هو تماهٍ مع المواقف الإسرائيلية التي تريد الابتعاد عن المرجعيات الأممية.⁴³

ويبدو أن محور الموقف الهندي من عملية طوفان الأقصى هو التوصيف الإرهابي لهذا الفعل، فبحسب مايكل كوغلمان Michael Kugelman مدير معهد جنوب آسيا في مركز وودرو ويلسون الدولي للباحثين South Asia Institute at the Woodrow Wilson International Center for Scholars في واشنطن، فإن "الهند تنظر إلى الصراع الحالي كونه حرباً لمكافحة الإرهاب، وتنظر إلى الهجوم الإسرائيلي على غزة على أنه عملية لمكافحة الإرهاب، وتعدّ أن عمليات مكافحة الإرهاب ينبغي لها ألا تتوقف من أجل الهدن الإنسانية".⁴⁴

بعد مرور بضعة أشهر لعملية طوفان الأقصى وتزايد وحشية العدوان الإسرائيلي على غزة، حاولت الهند إحداث نوع من التوازن والحياد في موقفها، بتأكيداتها على دعم قيام دولة فلسطينية، ودعوتها لـ"إسرائيل" لتجنب إسقاط ضحايا مدنيين، والسماح بممرات إنسانية للاجئين ولمرور قوافل المساعدات، غير أن ذلك لم يرتقِ أبداً إلى مستوى ما كانت عليه مواقف الهند التاريخية، بحسبانها من أكبر الداعمين تقليدياً للقضية الفلسطينية؛ برفضها لقرار التقسيم سنة 1948، وكونها أول دولة غير عربية تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية سنة 1974، واعترافها بدولة فلسطين سنة 1988، ومحدودية علاقاتها بـ"إسرائيل" لعقود طويلة. ويمكن تفسير ذلك التحول في الموقف الهندي من خلال أهم العوامل التالية:

أ. صعود القومية الهندوسية وتقاطعها الأيديولوجية مع الصهيونية:

على الرغم من إقامتها لعلاقات رسمية لأول مرة مع "إسرائيل" سنة 1992، نتيجة للتغيرات التي أفرزتها الحرب الباردة، وصراعها على كشمير مع باكستان، وحاجتها للتكنولوجيا العسكرية الإسرائيلية. إلا أن ذروة العلاقات الهندية مع "إسرائيل" كانت بوصول حزب بهارتيا جاناتا Bhartiya Janata Party القومي الهندوسي المتطرف



⁴³ منا علان، حرب غزة: الموقف الهندي وتحقيق التوازن الصحيح، العربي الجديد، 2024/1/3. (شاهد في 2024/9/11)

⁴⁴ كانت الهند ذات يوم حليفاً قوياً لفلسطين.. فما الذي تغير؟، الجزيرة.نت، 2023/11/7. (شاهد في 2024/9/11)



للسلطة سنة 1998، الذي أقام علاقات قوية مع "إسرائيل"، حتى باتت الهند أكبر مشترٍ للأسلحة الإسرائيلية. كما أصبح ناريندرا مودي القومي الهندوسي الآخر من الحزب ذاته، أول رئيس وزراء هندي يزور "إسرائيل" سنة 2017، منذ التقارب الدبلوماسي بين الطرفين، وأسهم في تعزيز العلاقات السياسية والاقتصادية بين الكيان والهند بشكل غير مسبوق.⁴⁵

ويتوافق هذا التحول الرسمي، مع الدعم واسع النطاق لـ "إسرائيل" بين القوميين الهندوس، الذين يشكلون الوعاء الانتخابي الرئيس لمودي وحزبه، كما يتماشى إلى حدٍ كبير مع التغطية الإعلامية الهندية للحرب من "إسرائيل"، ومع التعليقات التي يستخدمها القوميون الهندوس على وسائل التواصل الاجتماعي لإثارة المشاعر المعادية للمسلمين، ويقارن حزب بهاراتيا جاناتا الحاكم بين هجوم حماس على "إسرائيل"، والوضع في الهند قبل انتخاب مودي رئيساً للوزراء سنة 2014. احتشد عدد من الهندوس اليمينيين أمام مقر السفارة الإسرائيلية في نيودلهي، مطالبين بالانضمام للجيش الإسرائيلي لمحاربة العدو المشترك للبلدين.⁴⁶

ووفقاً للباحث البنغالي جاناتوال بيال، هنالك قواسم مشتركة بين القومية الهندوسية والصهيونية تعزز علاقات الجانبين في ظل وجود حكومتين متطرفتين في كل منهما، فكلا الأيديولوجيتين لديهما أهداف توسعية وإقصائية. وتصف كلٌّ من الحركتين الهند و "إسرائيل" بأنهما كانتا في الأصل حضارتين هندوسية ويهودية على التوالي، ولكنهما "لُوثتا" من قبل الغرباء وهم المسلمون على وجه التحديد، ويتلخص طموحهما الآن في إعادتهما إلى مجدهما السابق كدولتين هندوسية ويهودية خالصتين ولكل منهما عداؤها الكبير للإسلام، والحكومة الهندية تعتقد أنها يمكن أن تستفيد من تصوير حماس "ممثلة للإرهاب الإسلامي"، ودعمها لـ "إسرائيل" جزء من توجهها السياسي "المناهض للإسلام".⁴⁷

⁴⁵ حيان نيوف، خلفيات الموقف الهندي من طوفان الأقصى، موقع العهد الإخباري، 2023/12/29، في:

<https://www.alahednews.com.lb/article.php?id=63633&cid=185> (شاهد في 2024/9/14)

⁴⁶ أحمد دياب، "سياسة الهند تجاه حرب غزة.. التحولات والتداعيات"، مجلة آفاق آسيوية، الهيئة المصرية للاستعلامات،

القاهرة، العدد 14، 2024، ص 33.

⁴⁷ كانت الهند ذات يوم حليفاً قوياً لفلسطين.. فما الذي تغير؟، الجزيرة.نت، 2023/11/7. (شاهد في 2024/9/11)

◀ ب. تطور وتنامي العلاقات الهندية - الإسرائيلية:



تشهد علاقات الهند و"إسرائيل" أزهى وأقوى عصورها في وقتنا الحالي، ولا سيّما في ظلّ فترات حكم اليمين القومي الهندوسي في الهند، وخصوصاً بقيادة ناريندرا مودي للحكومة، فقد بلغ حجم التجارة بين الطرفين 10.1 مليار دولار

في السنة المالية 2022 و2023، وارتفعت الصادرات الهندية إلى "إسرائيل" بنسبة 77% خلال المرحلة ذاتها.⁴⁸ وحدث تحول في نظرة مجتمع الأعمال الهندي لـ"إسرائيل"، وهو ما تجسّد في حصول مجموعة أداني Adani Group الهندية وشريك إسرائيلي على صفقة ميناء حيفا بقيمة 1.2 مليار دولار بدعم أمريكي، وتؤكد مفاوضاتهما بشأن اتفاقية التجارة الحرة على الأهمية الاستراتيجية لكل منهما بالنسبة للآخرى، ويعزز ذلك التعاون العسكري والدفاعي المتزايد، فالهند تشتري من "إسرائيل" نحو 2 مليار دولار من الأسلحة سنوياً، أي نحو 30% من إجمالي الصادرات العسكرية الإسرائيلية.⁴⁹

◀ ج. تأرجح الهند بين الشرق والغرب:

من بين مختلف القوى الصاعدة، تشتهر الهند بكونها قوة متأرجحة وكأنّها لم تحسم بشكل نهائي توجهها المستقبلي، فهي من جهة حليف مقرب للغرب والولايات المتحدة الأمريكية، وهي الجهات التي تعدّها أكبر ديمقراطية في العالم، وحليفاً موثقاً في المحيط الهندي وجنوب آسيا. ومن جهة أخرى تنضم لنادي القوى المنادية بتغيير النظام الدولي، والدعوة إلى السير به نحو التعددية، ومراجعة دور المؤسسات الدولية كمجلس الأمن والمؤسسات المالية العالمية، وتحتفظ بعلاقات مميزة مع روسيا العدو التقليدي للغرب.

⁴⁸ دعم لا مشروط وقمع مظاهرات.. كيف أصبحت الهند مؤيدة قوية لإسرائيل؟، العربي الجديد، 2023/11/5.

⁴⁹ أحمد دياب، "سياسة الهند تجاه حرب غزة.. التحولات والتداعيات"، ص 33.



ثالثاً: طوفان الأقصى ومستقبل ومآلات لعبة النفوذ والتموقع في النظام الدولي:

إن الاضطرابات العنيفة التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط بفعل تداعيات عملية طوفان الأقصى والحرب الإسرائيلية على غزة، وتوسع الصراع ليشمل قوى فرعية إقليمية مثل حزب الله في لبنان والحوثيين في اليمن، وبدرجة أقل وأخفت المقاومة الإسلامية في العراق، تُعدّ من عوارض مرحلة انتقالية ما بعد غربية يمرّ بها النظام الدولي، فالعالم الذي استحكمت به القوى الغربية منذ القرن الـ 19، يصير أكثر توازناً مع انزياح مراكز القوة نحو آسيا وعالم الجنوب عموماً. على الرغم من أنه من الصعب الجزم بنتائج هذه المرحلة، ولا بأنّ الغرب سيكون عاجزاً عن استعادة المبادرة، ولا بأنّ القوى المعارضة له ستفرض منطقتها في النهاية.⁵⁰

وتؤكد طبيعة التعاطي الغربي مع الحرب المستمرة حتى الآن أنه أمام مرحلة صعبة جداً، فهو يتعامل مع هذه الحرب كونها جزءاً من حرب أشمل على نظام الهيمنة أحادية القطب، واستهدافاً مباشراً للمركزية الغربية، التي تمثل "إسرائيل" والصهيونية إحدى ركائزها في الشرق الأوسط والعالم، وبالتالي، فإن هزيمة هذا الكيان كنتيجة لقدرة المقاومة على تحطيم المشروع الغربي، وتسريع عملية تآكله الداخلي ستعني الإسهام في التمهيد لنهاية القطب الواحد، ويكفي أن نشهد انحسار الاهتمام بالحرب في أوكرانيا، وفي تايوان والصراع مع الصين، واندفاع المسؤولين الأمريكيين بكثافة إلى حماية الكيان من نفسه ومن المقاومة، ومنع توسع الحرب، ففي مقابل الغرب الموحد خلف الولايات المتحدة، هناك عالم جديد قيد التشكل، تميزه قوى رافضة للوضع القائم وساعية لتغييره وعلى رأسها دول مجموعة البريكس الخمس الرئيسية، على الرغم من أن تلك القوى ما تزال في مرحلة بناء التوافق على الأهداف، وعلى الأطر الجامعة والناظمة له، وعلى المواقف تجاه الأحداث العالمية، ودليل ذلك تباين مواقفها تجاه طوفان الأقصى وحرب غزة واضطرابات الشرق الأوسط عموماً، وفقاً لميزان المكاسب والخسائر، وطبيعة العلاقة بطرفي النزاع المباشرين وحلفائهما.⁵¹

⁵⁰ حسام مطر، في أيّ عالم تدور حرب غزة؟، الأخبار، 2024/6/27، في:

<https://al-akhbar.com/Opinion/383646> (شاهد في 2024/9/15)

⁵¹ أحمد الدرزي، طوفان الأقصى.. الراجح والخاسرون، موقع قناة الميادين، 2023/10/17. (شاهد في 2024/9/14)



إن الاضطرابات التي تشهدها المنطقة تثير تساؤلات جدية حول الهيمنة الأمريكية ومستقبل ملامح النظام الدولي. وعقب تداعيات الغزو الروسي لأوكرانيا، أصبح الصراع في قطاع غزة نموذجاً مصغراً للفوضى العالمية.

لقد سلط هذا الصراع الضوء على انهيار المعايير الدولية، وتقلص سلطة الولايات المتحدة، والانقسام المتزايد بين الغرب والشرق ودول الجنوب. وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة تظل الأقوى في العالم، لكن نفوذها النسبي يتضاءل بقدر كبير، وتماهيهما السافر مع السياسات الإسرائيلية يشهد على ضعف موقفها المتخاذل. بالمقابل فإن منظور الصين وروسيا للحرب في غزة، يركز على المنافسة الصفريّة مع واشنطن والمعاداة العميقة لها وتحميلها مسؤولية تأجيج الصراع في المنطقة وعدم الاستقرار عالمياً، كما تنظران إلى الصراع من زاوية المكاسب الجيوسياسية والاقتصادية التي قد تجنيها من تدني شعبية واشنطن وتراجع دورها على الصعيد العالمي.⁵²

لقد استطاعت روسيا ومن بعدها الصين وبقية دول البريكس، أن تظهر للرأي العام العالمي مكامن الخلل في النظام العالمي الحالي القائم على الهيمنة الأمريكية وعلى الأحادية القطبية، التي كانت من بين تداعياتها الخطيرة فتح الطريق أمام الاستبداد الإسرائيلي في المنطقة عموماً وضد الفلسطينيين خصوصاً. فتقدمت قوى مثل روسيا والصين وجنوب إفريقيا والبرازيل خطوة إضافية إلى الأمام، من أجل دفع العالم صوب الاقتناع بأن عالماً متعدد الأقطاب قادر على حماية الأمن والسلم الدوليين أكثر بكثير من النظام العالمي القائم على الهيمنة الأمريكية.⁵³

هذه التحولات في ساحة صراع القوى الدولية، يمكن أن تكون في صالح القضية الفلسطينية عموماً، وذلك وفقاً للمعطيات التالية:

⁵² محمد عصام لعروسي، "الحرب ضد غزة ومآلات النظام الدولي: من الهيمنة القطبية إلى اللجوء غير المشروع للقوة"، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2024/5/20، انظر: <https://caus.org.lb> (شاهد في 2024/9/15)

⁵³ نبيل الجبيلي، ما هي المواقف الروسية الداعمة لقطاع غزة؟، الجزيرة.نت، 2023/11/14.



1. ◀ الدعم الأمريكي لـ"إسرائيل" أصبح مكلفاً بالنسبة لها مادياً ومعنوياً وأخلاقياً، فمسايرة الإدارة الأمريكية لمواقف وسياسات حكومة نتنياهو المتطرفة، جلبت لها تشويهاً لصورتها كدولة قائدة للعالم، وأثرت على مكانتها كقوة مسؤولة عن تحقيق الاستقرار ومنع جرائم الإبادة.
2. ◀ يتزامن هذا الدعم الأمريكي اللا مشروط لـ"إسرائيل" في حربها، مع تراجع ملحوظ في مكانة واشنطن في النظام الدولي بما في ذلك منطقة الشرق الأوسط، وهذا ما قد يفرض عليها في لحظة ما تبني أنماط تكيف ستتمس العلاقة مع "إسرائيل" بمستوى أو بآخر، وتتماشى مع مراجعة الأهمية الوظيفية الإسرائيلية في نطاق استراتيجية الولايات المتحدة في المنطقة والعالم. في مقابل تسارع واضح في مؤشرات القوة للقوى الدولية الصاعدة خصوصاً الصين، وهو ما يشكل مكسباً استراتيجياً لقوى المقاومة على المدى المتوسط والبعيد، ناهيك عن التغير التدريجي في الرأي العام الأمريكي بعد طوفان الأقصى، خصوصاً بين الديمقراطيين وبين الشباب الأمريكي الجيل زاد Generation Z، مما قد يكون له آثار مستقبلية لصالح القضية.⁵⁴
3. ◀ لا يمكن التعويل على التحولات الدولية المرتقبة لوحدها، ولا على أي دور محوري قد تلعبه القوى الصاعدة المعارضة للغرب، ما لم يكن هنالك تحولات في السياسات والتوجهات على المستويين الفلسطيني والعربي، فالتشرذم الفلسطيني يعطل كل مسار للتسوية ولتوحيد الجهود لخدمة القضية وهو ما تستفيد منه "إسرائيل"، كما أن التهافت العربي على التطبيع بل وحتى مساعدة "إسرائيل" من طرف بعض الدول العربية على مواجهة المقاومة، تعدّ العقبة الحقيقية في وجه استفادة القضية من أيّ تحولات إيجابية قد تحدث في النظام الدولي.

الخاتمة:

تباينت إداً مواقف القوى الصاعدة في العلاقات الدولية تجاه عملية طوفان الأقصى وحرب غزة، وتراوحت ما بين القوة في شجب الأعمال العسكرية والإجرامية الإسرائيلية، وعدم إدانة عملية حماس بوصفها تدخل ضمن عمليات المقاومة المشروعة، وتأييد الحق الفلسطيني في تأسيس الدولة المستقلة، وهو ما تجلّى في مواقف

⁵⁴ وليد عبد الحي، ورقة علمية: "سيناريوهات ما بعد طوفان الأقصى"، موقع مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2024/1/2، انظر: <https://www.alzaytouna.net> (شاهد في 2024/9/15)

الصين وروسيا وجنوب إفريقيا. فيما كانت مواقف البرازيل والهند متوافقتين بداية في إدانة العملية ووسمها بالإرهابية، على الرغم من تأكيدهما على الدعوة لإقامة دولة فلسطينية، غير أن ذلك المسار عرف تشعبات متباينة فيما بعد، بميل الموقف البرازيلي بشكل كبير نحو التنديد بالجرائم الإسرائيلية بقوة، فيما كانت مواقف الهند انعكاساً لسياسات وأيديولوجية الحزب القومي الهندوسي الحاكم، المعروف بتطرفه وبدعمه لـ"إسرائيل" وتقاربه مع الأيديولوجية الصهيونية في نقاط عديدة.

إن أكثر ما يحسب لعملية طوفان الأقصى أنها أعادت إحياء القضية الفلسطينية ورفعها إلى صدارة المشهد العالمي مرة أخرى، بعد أن جرت محاولات حثيثة لوأد القضية وتصفيتهما، في ظلّ موجة التطبيع العربية مع الكيان الصهيوني، وما يعرف بصفقة القرن، فالعملية حملت تداعيات دولية شغلت القوى العالمية الكبرى المؤثرة في النظام الدولي، سواء تلك الغربية المؤيدة لـ"إسرائيل"، أم القوى الأخرى المعروفة عموماً بمناهضتها ولو بدرجات متفاوتة للأحادية القطبية التي تقودها واشنطن عالمياً، فالقوى الصاعدة الرئيسية وعلى رأسها الصين وروسيا، وجدت في العملية وإفرازاتها فرصة لبلورة مواقف تنمُّ عن توجهات معظمها مناقض ومخالف للتوجه الأمريكي، في إشارة قوية إلى واشنطن بأن ما يحدث في الشرق الأوسط ليس بمعزل عن المرحلة الانتقالية الحرجة التي يعيشها النظام الدولي، الذي يبدو متهاكاً وغير مستقر ولا يتخذ صورة محددة وصلبة لتوزيع القوى. ففي خضم حرب غزة برز بشكل جليّ تحميل تلك القوى للولايات المتحدة مسؤولية الاضطرابات المتزايدة إقليمياً وعالمياً، مما يمنح شرعية أكبر لتحركات تلك القوى نحو تشكيل عالم متعدد الأقطاب، والمضي قدماً في مسار طويل ومعقد لإصلاح المنظومة المؤسسية الدولية، وتلك الحركية التي تقودها القوى الصاعدة، تعدّ عموماً في صالح المقاومة والقضية الفلسطينية، ولكن جني ثمار ذلك عملياً يتوقف على عدة متغيرات، منها مدى قدرة تلك القوى على الذهاب بعيداً في معارضتها للهيمنة الأمريكية وإضعافها، ومدى قدرة الشتات السياسي الفلسطيني على التوحيد والمصالحة، ومدى قدرة الصف العربي كذلك على توفير بيئة مساعدة بشكل أكبر على فرض ضغط حقيقي على الولايات المتحدة و"إسرائيل".

